

تأثير المادّية



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: ١ يوحنا ٢: ١٦، ١٧؛ لوقا ١٤: ٢٦-٣٣؛ ١٢: ١٥-٢١؛ تثنية ٨: ١٠-١٤؛ ١٤: ١٠؛ تيموثاوس ٦: ١٠؛ يوحنا ١٥: ٥؛ غلاطية ٢: ٢٠.

آية الحفظ: «ولا تُشاكلوا هذا الدَّهر. بل تغيِّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رومية ١٢: ٢).

تقول كلمة الله لشعبه أن لا «تُشاكلوا هذا الدَّهر» (رومية ١٢: ٢)؛ ولكن إغراء المادّيات والرغبة الجامحة في جمع الثروة وما يمكن في اعتقادنا أن تجلبه الثروة لنا، تأثير قوي. قليلون جدًّا من الناس هم الذين لا يسعون وراء المادّيات. وهذا يشمل المسيحيين أيضًا.

ليس من الخطأ أن يكون الإنسان غنيًّا، بل وأن يعمل بجدّ ليوثّر وسائل الراحة له ولمن يحب. ولكن عندما يُصبح المال والسَّعي وراءه هو كل شيء في حياتنا، عندها نكون قد وقعنا في فخ الشيطان، ونُصبح حقًّا مُتشاكلين مع هذا الدَّهر.

يَعْتَبِرُ العالم أنَّ الحياة الهائنة، الحياة الأفضل، توجد فقط بالمال. ولكن المال هو أحد الأتعة التي يتخفَّى وراءها الشيطان لينال من ولائنا. إنَّ المادّيات هي إحدى أسلحة الشيطان المُختارة ضد المسيحيين. فعلى أي حال، مَنْ منَّا لا يرغب في المال وما يُمكن أن يجلبه لنا المال هنا في زماننا ومكاننا؟ إنَّ أعظم ما يُمكن أن يُنجزه المال هو إحساس بالرُّضا والمُتعة اللحظية، ولكنه في النهاية لا يستطيع أن يلبّي لنا عُمق ما نحتاج إليه.

* نرجو التعمُّق في موضوع هذا الدرس، استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٦ كانون الثاني (يناير).

إله هذا العالم

أصَبَحَ المال هو إله هذا العالم، والمادِّيات هي دِيانته. إِنَّ المادِّيَّة هي نظام مُعقَّد وماكر يمنح أُمَّنًا وِقْتِيًّا، ولكن ليس سِلْمًا مُطلَقًا. المادِّيَّة كما نُعرِّفها هنا، هي عندما تُصِبِح الثروة والأَمْلاك أكثر أهمية وأكثر قيمة مِنَ الحقائق الروحية. قد تكون للممتلكات قيمة، ولكن قيمتها لا يجب أن تمتلكنا: «مَنْ يُحِبُّ الفِضَّة لا يشَبِع مِنَ الفِضَّة، وَمَنْ يُحِبُّ الثروة لا يشَبِع مِنَ دخل» (الجامعة ١٠: ٥). هذه هي المُشكلة في رَغبة امتلاك الأشياء التي في العالم: وَبَعْض النظر عَمَّا حصلنا عليه، فإنه غير كافٍ؛ فنندفع بجهد أكبر وأكبر للحصول على أكثر وأكثر مِنَ ذلك الذي لا يُمكن أن يكون كافيًا لإرضائنا. وهذا هو الفخُّ بعينه.

اقرأ ١ يوحنا ٢: ١٦، ١٧. ماذا تقول هذه الآيات حول ما يهم حقًا؟

اقرأ لوقا ١٤: ٢٦-٣٣. ماذا يقول لنا يسوع هنا أيضًا عن ما هو الشيء فائق الأهمية بالنسبة للمسيحي؟

قد يكون القول على الشكل التالي: بالنسبة لأولئك الذين يستحوذ المال وحُبُّهم له على كل همُّهم في الحياة، فعليهم أن يحسبوا حساب التَّكلفة. «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو رَبِحَ العالم كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ» (مرقس ٨: ٣٦). «عندما جاء المسيح إلى الأرض، كان يبدو أنَّ البشرية تُسرِع في الانجِدار إلى الحضيض. فحتى أُسس المُجتَمع قُوِّصَت. والحياة صارت زائفة وكاذبة. واليهود إذ كانوا مُجرِّدين مِنَ قوَّة كلمة الله، قدَّموا للعالم التقاليد والآراء المُخدِّرة للعقول والمُميِّتة للنفوس. وعبادة الله «بالروح والحق» أُزِيحَت، واحتلَّ مكانها تمجيد الناس في روتين لا ينتهي مِنَ الطقوس التي مِنَ صُنْع الناس. وفي جميع أنحاء العالم، أضاعت نُظُم الدِّين سيطرتها على العقل والنَّفْس. فإذ إشمأزَّ الناس مِنَ الخُرافات والأكاذيب وحاولوا إغراق عقولهم، اتَّجهوا إلى الإلحاد والمذهب المادِّي. وإذا استبعدوا الأبدية مِنَ حسابهم، عاشوا الزَّمن الحاضر» (روح النبوة، التربية الحقيقية، صفحة ٨٧).

ينجذب الناس نحو الإلحاد والمادّيّة ويعيشون للحاضر فقط؟ أبدو ذلك مألوفاً؟
مَن ذا الذي لا يرغب في امتلاك الأشياء؟ السؤال هو: كيف يمكننا أن نعرف أن
الأشياء التي نمتلكها، حتى وإن كانت قليلة، تمتلكنا هي أيضاً؟ مَن هو الذي
يجب وحده أن يمتلكنا، وكيف نستطيع أن نتأكّد أنه يمتلكنا فعلاً؟

١ كانون الثاني (يناير)

الاثنين

ملء المخازن

اقرأ لوقا ١٢: ١٥-٢١. ما هي الرّسالة لنا هنا؟ كيف يمكن للمبدأ الوارد هنا أن
ينطبق على شخص ليس بالضرورة ثرياً؟

سواء كُنّا أغنياء أم فقراء، فإنّ رغبتنا في امتلاك الأشياء يُمكن أن تُحوّل أفكارنا
بعيداً عن المهم والحقيقي وتركزها بدلاً من ذلك على ما هو وقتي وعابر، وكلها
بالتأكيد أمور لا تستحق فقدان الحياة الأبدية.
مِن المُستبعد اليوم أن نركع أمام تمثال حقيقي مصنوع من الذهب أو الفضة
ونعبده. ومع ذلك، فقد نكون ما زلنا في خطر عبادة الذهب والفضة، ولكن بأشكال
مختلفة.

ينطبقُ هذا المَثَل بشكل كبير على أنحاء كثيرة من العالم، حيث تنحصر الحياة
فيها بشكل كامل تقريباً على جَمع الممتلكات. حوّل التُّجّار الإعلان عن منتجاتهم إلى
شكلٍ من أشكال الفن على نطاق عالمي. وبنوا استراتيجية تسويق بضائعهم على
جعلنا نعتقد أننا لن نُسعد أو نرضى حتى نمتلك ما يبيعونه. أنتجت إحدى الشركات
الناجحة جدّاً مُنتجاً، وجعلتنا نعتقد أننا بحاجة إليه، وبعدها باعتها لنا. وفي الحقيقة:
نجحت تلك الخطّة! حتى المسيحيين، الذين رجاؤهم ليس من هذا العالم، لم يَسلموا
مِن تلك الخديعة.

اقرأ تثنية ٨: ١٠-١٤. بأية طرق يمكن لأي عضو من أعضاء الكنيسة أن يكون
مُعرّضاً للتهديد الذي يُحذّر منه هنا؟

أية أمثلة يمكنك أن تجدها، إما في الكتاب المقدَّس أو في عالمنا اليوم، تجد فيها شخصًا ما تنمو روحانيته ومُحِبَّتَه لله ورغبته في الأمور السماوية مع ازدياد وتراكم ثرواته المادِّيَّة؟

٢ كانون الثاني (يناير)

الثلاثاء

إغراء المادِّيَّة

إنَّ عالم الدَّعاية والإعلان عالم قوي. تُنفِق الشركات البلايين في رسم الصور على منتجاتها لجذبنا. وفي غالب الأحيان يستخدم أصحابها صور الأشخاص ذوي الجمال والجادبية للترويج لبضائعهم. فننظر نحن إلى تلك الإعلانات، ليس فقط مع هذا المُنتج، ولكننا نتمنى أن نكون على شكل الأشخاص الظاهرين في الإعلان. لا يمكن للمادِّيَّة أن تكون بهذا القدر من التأثير والجادبية ما لم يُحاك قدر من الدَّهاء في نسيج الإعلانات لإثارة الغرائز. إنه أقوى أسلوب للدَّعاية، لكنه يفعل فعل السحر لدى المسيحيين الذين يُجاهدون لِدرءِ خَطَرِ المادِّيَّة، وذلك يشمل معظمنا.

اقرأ متى ٦: ٢٢-٢٤. ما الذي تُمثِّله العين بالنسبة لأفكار وأفعال المسيحيين؟ كيف يجب علينا كمسيحيين أن نتفاعل مع إغراء الصور الخادعة التي تحاول إثارتنا لشراء أشياء لسنا بحاجة إليها؟

يُمكن للإعلانات التي تربط الشهوانية بمنتجات التَّجَّار أن تصبح أداة فعَّالة. فَهْمُ يبيعون منتجاتهم عن طريق إثارة عقل وفكر المستهلك. إنها تجربة خيالية بحتة ولكنها تحقق الغرض. ومن الممكن للإعلانات أيضا أن تجعل المشاهد يشعر بالتصوُّف حيث تنقله في لحظة وقتية وعابرة إلى عالم آخر من الوجود. تصبح وكأنها ديانة مزيفة خالية من المعرفة والحق، إلا إنها مغرية وجذابة فلا يستطيع العديد من المشاهدين مقاومتها. نريدها، ونستحقها، فلما لا نحصل عليها؟ الله وحده يعلم مقدار المبالغ الطائلة التي يتم إنفاقها على منتجات تقنعنا الإعلانات أننا بأمس الحاجة إليها.

«وإنَّما أقول، اسلكوا بالروح فلا تُكَمِّلوا شَهْوَةَ الجَسَدِ» (غلاطية ٥: ١٦). مع أننا نميل نحو الاعتقاد بأنَّ «شهوة الجسد» هي فقط الشهوة الجنسية، فبأي طرق أخرى يمكن أن نكون في خطر ممارسة هذه الشهوة؟

محبة الذات

«فإن أقول بالنعمة المُعطاة لي، لكل مَنْ هو بينكم: أن لا يَرتني فوق ما ينبغي أن يَرتني، بل يَرتني إلى التَّعقُل، كما قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ واحدٍ مقداراً مِنَ الإيمان» (رومية ١٢: ٣).

قال اللهُ: «قد ارتفع قلبك لِبَهْجَتِكَ. أَفَسَدْتَ حِكْمَتَكَ لِأَجْلِ بَهَائِكَ» (حزقيال ٢٨: ١٧). خَدَعَ لوسيفر نفسه، باعتقاده أنه أعظم ممَّا كان عليه. عندما قال في قلبه: «أصيرُ مثل العليِّ» (إشعياء ١٤: ١٤)، أَظْهَرَ طموحاً أَنَانِيّاً؛ مُدَّعِيّاً حقوقاً ليست له. إِنَّ خِدَاعَ النَّفْسِ والطُّمُوحِ الأَنَانِيِّ، سِمَتَانِ أَتَّصَفُ بِهِمَا قَلْبَ لوسيفر الساقط. هذه الآيات الخاصَّة بسقوط لوسيفر يجب أن تُخْبِرْنَا، بِطَرُقٍ شَتَّى، أَنَّ أَصْلَ الخُطِيَةِ هو الأَنَانِيَّة، التي يُفَسِّرُهَا أَحَدُ القَوَامِيْسِ بِأَنَّهَا «الافتتان بالذَّات: حُبُّ الذَّات: الغرور». أَيَّةُ صفات، في أي بشري ساقط، أَكْثَرَ مِنْ هذه تدلُّ على خِدَاعِ النَّفْسِ؟ مع ذلك، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ هي أَكْثَرَ شِيعَوًا ممَّا نعتقد. فنبوخذنصر اعتقد بِكُلِّ غَطْرَسَةٍ أَنَّهُ أَعْظَمُ ممَّا كان عليه (دانيال ٤: ٣٠). الفريسيون أَيضًا كان عندهم ذلك الغرور والوهم (انظر لوقا ١٨: ١١، ١٢). الثروة والغنى يمكنهما أن يقودا إلى تلك الخديعة عينها إن لم تكن حذرين.

اقرأ ١ تيموثاوس ٦: ١٠. أي خطر يُحذِّرُ منه بولس هنا؟

يُوصِي بولس تيموثاوس أن يحترس مِنْ نوعيات سيِّئة كثيرة مِنَ الناس (٢ تيموثاوس ٣: ١-٥)، تشمل مَنْ هم «مُحِبِّينَ للمال». هذا الحُبُّ للمال يُمكن أن يقود الإنسان للثقة العمياء بالنَّفْسِ والشعور بالتَّعَالِي والغرور، ذلك لِأَنَّ المادِّيَّةَ تصبغ الأشخاص ذوي الثروات الطائلة بصبغة الإحساس الزائد بأهميتهم. فَمِنْ السهل على الشخص، الذي يملك المال الكثير، أن ينظر إلى نفسه نظرة أعلى مما يجب. على أي حال، كل شخص يرغب في أن يكون ثرياً، ولكن القليلين جدًّا يبلغون الثراء. ولذلك، مِنَ السهل أن يشعر الأغنياء بثقة زائدة في أنفسهم، ويصبحون مُتفاخرين ومُتباھين بما يملكونه.

اقرأ فيلبي ٢: ٣. كيف تُساعدنا هذه الآية لنفهم السبب الذي يجعل المادِّيَّة والسُّلوكيات التي تُنمِّيها وتُعزِّزها تتناقض مع المثالية المسيحية؟

عَبَتِ الْمَادِيَّةُ النَّهَائِي

الكثير من الناس يُحْبُون الله. تندمج ذواتهم مع ذاته بحيث أن الممتلكات الماديَّة لا يمكنها أن تفصلهم عنه.

اقرأ تثنية ٧: ٦؛ ١ بطرس ٢: ٩؛ يوحنا ١٥: ٥؛ وغلاطية ٢: ٢٠. ماذا يعني أن نكون مُلْكًا لله؟ وأين نجد هويَّتنا الحقيقية؟

يقول الله: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان... بدوني لا تقدرّون أن تفعلوا شيئاً (يوحنا ١٥: ٥). إنَّ الارتباط مُباشِر ومُؤمَّن. «كل طاعة حقيقية تتبع من القلب. لقد كان المسيح يعمل بقلبه. وإذا نحن رضىنا، فهو سيدمج نفسه في أفكارنا وأهدافنا، وبذلك تصير قلوبنا وأفكارنا في حالة وفاق وانسجام مع إرادته حتى إذ نُطيعه لا نكون سوى مُنفَّذين لبواعثنا» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٦٣٤).

من ناحية أخرى، تمنحنا الماديَّة هويَّة مترادفة مع ممتلكاتنا. بعبارة أخرى، نحن نعرّف أنفسنا على أساس ما نمتلكه وما يمكننا شراءه من متاع هذا العالم. يُحدِّرنا يعقوب من هذا: «ذَهَبُكُمْ وَفِضَّتُكُمْ قَدْ صَدَدْنَا، وَصَدَّاهُمَا يَكُونُ شَهَادَةً عَلَيْكُمْ، وَيَأْكُلُ لِحُومِكُمْ كِنَارًا. قَدْ كَنَزْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ» (يعقوب ٥: ٣). كلمة «كَنَزْتُمْ» معناها جَمَعْتُمْ وَخَزَنْتُمْ كنوز كثيرة؛ والأهم من ذلك أن الكثيرين يجدون أنفسهم وهويَّتهم في هذه الكنوز — كثيرة كانت أم قليلة (لوقا ١٢: ١٩-٢١).

الماديَّة هي نوع من الارتباك في الهويَّة. معنى ذلك أنه بالنسبة لكثيرين منا هو اندماج الهويَّة بما نمتلكه، فتُصبح أملكنا هي إلها (متى ٦: ٢١-٢٤). وكما قال أحدهم: «أنا لا شيء بدون الأشياء التي أمتلكها». ما أتعسنا حين نُحدِّد هويتنا فقط من خلال ما نمتلكه من متاع هذا العالم. وكم تكون الحياة سطحية وعقيمة وعابرة خاصة بالنسبة لشخص يدعي أنه مسيحي. هل نوحِّد هويتنا مع الله أم مع أملكنا؟ في نهاية الأمر، سيكون إمَّا الواحد أو الآخر.

ما قدر ارتباط هويَّتك بالأشياء التي تملكها؟

لمزيد من الدرس: «العدوُّ اليوم يشتري النفوس رخيصة. وكما تقول الأسفار «تبيعون أنفسكم بلا شيء». يبيع الإنسان نفسه لأجل إطرء العالم، وآخر من أجل المال، وشخص آخر لإشباع غرائز زائفة، وآخر من أجل المتعة الدنيويَّة. مثل هذه الصفقات تحدث يوميًّا، والشيطان يُزايد لشراء الذين اشتراهم يسوع بدمه، ويشتريهم رخيصةً — على الرِّغم من الثمن العظيم الذي دُفِعَ لقاء فدائهم» (روح النبوة، إرشادات للكنيسة، الجزء الخامس، صفحة ٣٣١).

إنَّ شراء النفوس بواسطة المادِّيَّة هو هدف الشيطان، والفخاخ الظاهرية تفتن كل القلوب. مع أنَّ المادِّيَّة لا تستطيع النُّطق إلاَّ أنَّها تتحدَّث جميع اللغات. فهي تعرف كيف توفِّر الملذات، وكيف تُشبع غرائز الأغنياء والفقراء لتجعلهم يقولون: «لنا كل ما نحتاجه هنا؛ فلمْ نهتم لأيِّ أمرٍ آخر؟» وهكذا، فإنَّ المادِّيَّة تُفسد العقل، وتجعل الناس يثقون فيما يمتلكونه بدلاً من الثقة في الله. ومع ذلك، فإنَّ التَّرياق هو: «لا بالقُدرة ولا بالقوَّة، بل بروحي قال ربُّ الجنود» (زكريا ٤: ٦). لا تستطيع المادِّيَّة مُقاومة قيادة الرُّوح المُقدَّس عندما نُسلم أنفسنا لله ونُقرِّر بنعمته ألا نعد المادِّيَّة تُسيطر على حياتنا.

أسئلة للنقاش

١. ما هي الطرق التي يمكن بواسطتها أن تجرفنا المخاطر التي درسناها في هذا الأسبوع — حتى لو كنا فقراء أو لا نمتلك الكثير من المادِّيَّات؟
٢. يقول البعض: «أنا لا أهتمُّ بالمال. المال لا يعني أي شيء بالنسبة لي» (غالبًا من يقولون هذا القول هم الذين يملكون الكثير من المال على أيَّة حال). في أغلب الأحيان، هذا القول ببساطة غير صحيح. لماذا؟ الأموال مهمة؛ فلها دورها في حياتنا. ولكن السؤال هنا: كيف يمكننا أن نضع المال وحاجتنا إلى المال في المنظور الصحيح ووفقًا لما جاء في الكتاب المُقدَّس؟
٣. «لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض، حيث يُفسد السوس والصدأ، وحيث يَنْقُبُ السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء، حيث لا يُفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا يَنْقُبُ سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا» (متى ٦: ١٩-٢١). اقرأ بعناية ما يقوله يسوع لنا هنا. كيف ترى أنَّ ما يُخبرنا إياه هو طريقة قويَّة لِحمية أنفسنا من مخاطر المادِّيَّات؟